دوماً معي

عاد من عمله عصراً و دخل إلى بيته بهدوئه المعتاد ثم أغلق الباب برويّة كـــي لا يـــزعج الأولاد و أمهم .....

- إنهم في غرفتهم نائمون مع أمهم في هذا الوقت .... لقد أحضرت لشادي الحلوى التي يحبّها رغم أنها تنهش أسنانه الصغيرة نهشاً، وكذلك أحضرت لمنـــال لعبـــة جديـــدة ستكسرها كغيرها بعد حين.... ما أحلى شقاوتهم وحركاتهم ...

وضع الأغراض التي كانت بيده في المطبخ .... تأمّل الأطباق المتسخة المتراكمـــة فـــوق بعضها البعض ..

- سأطلب من أم شادي أن ترتب هذا المطبخ بعد استيقاظها .....

دخل إلى غرفة نومه وشرع بتبديل ملابسه .... جلس قليلا على الفراش ثم استلقى واضعاً يديه خلف رأسه وراح يفكر بأحداث يومه .....

- " **صوت بكاء يعلو متدرجاً** " ..... هه .... هذه منال تبكي لقد استيقظت وستوقظ الكلّ معها .... سأقوم لأصلي العصر و أتناول الغداء معهم فأنا أتضوّر جوعاً ....

قام للصلاة بينما بدأت أصواتهم تعلو .....

- منال يا ماما كم مرّة قلت لك ألا ترمي الفازة على الأرض إنها غالية ..... شـــادي هل كتبت وظيفتك ؟ أريدك أن تريها لبابا .....
- حاضر ماما ....

- " **صارخة** " منال ... يا ماما كم مرة قلت لك النونو في الحمام وليس على ثيابك ...
- " **باكية** " توبة ماما .....

انتهى من صلاته وصاح فيهم ....

- كفاكم صراخاً لقد كدت أخطأ في الصلاة .....

هدأ كل شيء وساد الصمت .... ثم تذكر أنه نسي اللبن عند البقّال ..... قام فلبس سترته وخرج من الغرفة متجهاً إلى باب المنزل ..... قال وهو يهمّ بالخروج .....

- لن أتأخر يا أم شادي لقد نسيت اللبن عند البائع سأحضره وأعود فوراً .....

لكنه ارتد للخلف عندما شاهد جاره و زوجته ينزلان ..... ردَّ السلام على جاره ثم تريث قليلاً و بدأ بالنزول رويّاً وراءهما وهو يسمع حوارهما .....

- أسمعت ؟ مسكين ..... منذ أن فقد زوجته وأولاده في ذلك الحادث الأليم وهو يعتقد أنهم مازالوا أحياء !!
- " **هامساً** " هسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسس ..... اخفضي صوتك .....

توقف عن النزول فقد أحس أن الخطوة التالية ستهوي به في قعر وادٍ عميقِ الغور ..... اسند يده إلى الحائط و اغرورقت عيناه بالدموع ..... صعد مسرعاً إلى المنزل .... أغلق الباب و راح يستعرض غرف البيت الساكن .....

- أم شادي .... منال ..... شادي ..... بابا أين أنتم !!!

لم يجد أحداً .... لم يعد يسمع هذه الأصوات التي كانت تطرب مسمعه ..... دخل إلى غرفة الأولاد ليجدها كما هي .... لم يمسسها أحد .... كانت الغرفة غارقة في صـــمت شديد .... وخالية إلا من ذكريات الطفولة الجميلة التي عاش أصحابها فيها ما قُدّر لهم أن يعيشوا ..... تأملها والدمع يتدفق من عينيه ..... ثم دخل إلى غرفته .....

- هنا كانت تنام الحبيبة .. وهنا كانت تتزين ...كم ضحكنا معاً وتشاجرنا معاً ..... يرحمكم الله .... الحياة معكم ما أحلاها .... ومن دونكم ما أشـــقاها ..... لقـــد سكنتم قلبي ولن تفارقوه أبداً .....

مسح دمعه وتنفّس بعمق ثم قام متوجهاً نحو باب المنزل ..... فتحه برويّة و أطلّ برأســـه أولاً ليتأكد من سكون الممر .....

- كما قلت لكِ يا عزيزتي .... لن أتأخر .....

ونزل ليحضر اللبن من عند البائع .....

محمد جمال الدين السباعي

حلب

2005/5/22